

الجهود اللسانية العلمية لعبد الرحمن الحاج صالح

The Scientific Linguistic Efforts of Abd al-Rahman al-Haj Salih

د. ليلى قلاتي* (I)

جامعة أم البواقي (الجزائر)

guellati.leila@univ-oeb.dz

تاريخ النشر: 2025/12/26	تاريخ القبول: 2025/12/10	تاريخ الإرسال: 2025/08/07
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص: تعد جهود اللغوي عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية والعلمية في طليعة جهود علماء اللسانيات في البلاد العربية، إذ حظيت منجزاته اللسانية بالاهتمام البالغ من قبل الباحثين، فقد قدّم للدرس اللساني العربي، إضافة علمية بارزة المعالم تجسّدت في جهوده المكثفة في تطوير اللغة العربية وتجديد البحث فيها، وقد حاولنا في هذا المقال عرض أعماله العلمية الجليلة الفردية منها والجماعية، لتكون محلّ إفادة القارئ الكريم ليستفنع بها ويدعم ثقافته اللغوية والتراثية والحداثيّة معاً، بادر اللغوي الحاج عبد الرحمان صالح بفكره اللغوي التجديد إلى منح التراث اللغوي قراءة تجديدية، حداثيّة في ضوء ما فقه فيه من النظريات اللسانية الحديثة. إذا لا يختلف اثنان في أن التراث اللغوي العربي حقل خصيب ثري متنوع قابل لنحتها في شتى جوانبه، فما قد أثمرت دراسة الحاج صالح إلى تمثيل الكتابة اللسانية العربية تمثيلاً لائقاً باللغة العربية وأسرارها. يتوجب على المتعمقين في مجال البحث اللغوي والنظرية اللسانية لدى هذا العالم اللغوي من تأسيس نظرية لسانية معاصرة تنمينا لجهوده اللسانية العميقة الطرح والإجراء.

الكلمات المفتاحية : الجهود اللغوية؛ الحاج صالح؛ تجديد اللغة؛ النظرية اللسانية .

* ليلى قلاتي

Abstract

Abdul Rahman El Hadj Saleh's linguistic and scientific efforts are at the forefront of the work of linguists in the Arab world. His linguistic achievements have received great attention from researchers, as he made a prominent scientific addition to the study of Arabic linguistics, embodied in his intensive efforts to develop the Arabic language and renew research in it. In this article, we tried to present his great individual and collective scientific works for the benefit of the reader, so that they may benefit from them and enhance their linguistic, heritage, and modern culture together. The linguist El Hadj Abdul Rahman Saleh took the initiative with his renewed linguistic thought to give linguistic heritage a renewed, modern reading in light of what he understood of modern linguistic theories. No two people disagree that the Arabic linguistic heritage is a rich, varied, and fertile field that can be carved into in its various aspects, and what the study of El Hadj Saleh has resulted in is a worthy representation of Arabic linguistic writing worthy of the Arabic language and its secrets. Those who delve into the field of linguistic research and linguistic theory of this great linguist must establish a contemporary linguistic theory in appreciation of his deeply proposed and procedural linguistic efforts.

Keywords: Linguistic efforts; El Hadj Saleh; Language renewal; Linguistic theory.

مقدمة:

عرف الدرس اللساني العربي الحديث إسهامات لسانية قيّمة، أضفت قيمة معرفية علمية جديدة، في ظل تقديس الدراسات الغربية، بالنظر إلى الجهود اللغوية من تطوير النظريات اللسانية بدعوى تخلف الدارسين العرب، لكن الدراسات العربية الحديثة لبعض اللغويين المحدثين غيرت هذه النظرة السائدة و أثبتت أهليتها في البحث وإنجاز البحوث على صعيد الدرس اللساني الحديث، فكانت هذه الإسهامات العلمية إضافات قيّمة تأسيسية وبعث الدرس اللساني وتفق البحث فيه، فكان دور الجزائر بارزا في هذا الاختصاص على غرار الباحثين العرب المحدثين مثل إبراهيم أنيس وكمال بشر وغيرهم سعيا إلى خدمة العربية وتطويره مجال البحث فيها، تصدر العالم اللغوي الجزائري (عبد الرحمن الحاج صالح)، قائمة الباحثين فكان من أبرز أعلام اللغة العربية تجلّت جهوده العلمية بوضوح في دراسته للنظرية الخليلية الحديثة والذخيرة اللغوية، البحث في الرصيد اللغوي العربي، تعزيزا وإضافة وغيرها من المنجزات العلمية البارزة التي سنتعرض إليها في بحثنا.

وبناء على موضوع الدراسة تتبادر إلى ذهن كلّ باحث حصيل أسئلة منها ما هي إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية؟ وما القيمة العلمية التي اكتسبها الدرس اللساني العربي بفضل جهوده؟ حيث انطلقنا في بحثنا هذا عن محاولة الكشف عن الجهود اللسانية والعلمية لدى عبد الرحمن الحاج صالح

باعتباره يحتل مكانة طليعة علماء اللسانيات في البلاد العربية، إذ حفلت منجزاته اللسانية بالدراسة وشغف الباحثين في مجال اللغة العربية بناء على الإضافات التي قدمها للدرس اللساني العربي، ولأهمية جهوده في تطوير اللغة العربية وازدهارها، فقد وجب على كل باحث التنويه بأعماله الجليلة الشخصية و الجماعية، لينهل منها القارئ العربي، عموماً .

1- لمحة عن حياة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح

ولد (عبد الرحمن الحاج صالح) بمدينة وهران سنة 1927م، كان حافظاً للقرآن الكريم، تلقى دروسه باللغة الفرنسية، كما تلقى دروساً باللغة العربية، في إحدى المدارس الحرة، التي أنشأتها (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، انتقل إلى الدراسة مستفيداً من التراث العلمي العربي، عمق مفاهيمه العلمية والمنطقية والرياضية، في علوم اللسان العربي، ثم انتقل إلى بوردو وباريس، تحصل على (شهادة التبريز) من (باريس) ودكتوراه دولة من (جامعة السوربون)¹. عين رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربية 2000م. تحصل على جائزة الملك فيصل الدولية على جهوده اللسانية العربية لعام 2010م/1431هـ.

عاش العلامة عبد الرحمن الحاج صالح محطتين بارزتين في حياته :

- **الأولى :** تمثلت في رحلته العلمية إلى مصر، حيث اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي، بما اطلع عليه من كتاب سيبويه، حيث استطاع من خلاله التمييز بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب الأقدمين، وأراء المتأخرين فيه.
- **ثانياً :** التحاقه بثانوية (مولاي يوسف) في (الرباط) أستاذاً للغة العربية، كما درّس الرياضيات، وقد أثر في حياته الثقافية، وقربه أكثر من اللغوي (الخليل بن أحمد الفراهيدي).

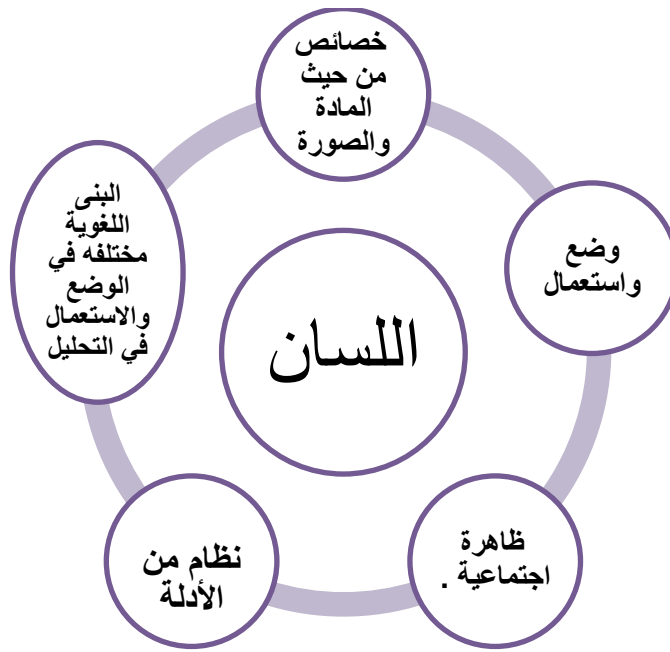
توفي العالم اللغوي عبد الرحمان الحاج صالح يوم الأحد (5 مارس 2017 بالعاصمة - الجزائر -) عن عمر ناهز (90 عاماً) بعد معاناته مع المرض، دفن في مقبرة دالي إبراهيم الجزائر. خلفاً إرثاً لغوياً كبيراً تمثل في مؤلفات شهيرة منها: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، علوم اللسان العربي وعلم اللسان العام بالفرنسية في مجلدين، وكذا النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية.

2. جهود الحاج صالح اللسانية في علم اللسان :

إن الظروف العلمية التي عايشها عبد الرحمن الحاج صالح جعلت منه عالماً لغوياً في حقل اللسانيات، "...ليظهر علماً من أعلام علم اللسان، لا على مستوى وطنه، بل على مستوى العالم " كان لهذا اللغوي الفذ اهتماماً خاصاً بدراسة اللسانيات وشغفاً كبيراً بالتراث النحوي، فكان من العارفين بالتراث العربي،

الداعين إلى قراءته وإعادة قراءته بطريقة واعية وتجديدة له بنظرة حداثية استشرافية، مما جعله مطعمًا له بمفاهيم آنية، فهو من الباحثين المختصين في مجال اللسانيات الحديثة، باحثًا عما يمكن أن تستفيد منه العربية الفصحى، من النظريات اللغوية السائدة اليوم، في مجال البحث اللساني، وما ينفرد به اللسان العربي¹ فلأستاذ شغف خاص باللسانيات وفقه اللغة، وهو من دعاة القراءة الواعية للتراث.

تمكن هذا اللغو بفضل حنكته الجمع بين ثقافتين مختلفتين دون انحياز لثقافة بعينها لا تتأتى هذه المزية إلا لقلّة من أفاض اللغة، وهو ما ظهر متميزًا به في آرائه اللسانية التي تتضمنها مؤلفاته ومقالاته العلمية، بعلم واسع، وإحاطة عميقة بقضايا اللغة العربية الشائكة، وسعى إلى الحفاظ عليها وإثرائها لتواكب مستحدثات العلم والتكنولوجيا، وقد تعمّق في دراسة اللسان العربي وظواهره مستخلصًا² منه أن:



الشكل 1: مظاهر اللسان العربي عند الحاج صالح

يروم إلى دراسة اللغة العربية دراسة علمية دقيقة، تستند إلى أسس نظرية منهجية، تقرها الدراسات اللسانية الحديثة.

3.دراسته في أصالة اللغة العربية :

للباحث جهودا منقطعة النظير في الحفاظ على اللغة العربية، وإثرائها بمستجدات العلم الحديث، من حيث حرص على إظهار أصالة اللغة العربية وقيمتها الدلالية بوصفها قادرة على الاستجابة الطيبة لمستجدات العلم، دعا الحاج عبد الرحمان صالح إلى ضرورة العودة إلى دراسة النماذج التراثية الصافية في المتن اللغوي، وتحاشي عنصر المبالغة في تناول ما يعرف بالتعقيد النحوي، كما ساهم في إبراز دور آليات الإعراب التي تعدّ وسيلة ناجعة في كشف غطاء المعاني والدلالات، بربطها بالأصالة و الدعوة إلى الانفتاح وتحاشي التقليد و الانبهار بالمفاهيم الأجنبية. وفقا لهذا المعطى النظري للعالم اللغوي تمكن من اعتماد الاتجاه العقلي في دراسة اللغة، بعد تنقيح عمله الأكاديمي في أعماله. كما ركز على الحفاظ على أصالة اللغة العربية وتعزيزها بالدرس الحداثي وهو يقرّ بأصالة التراث اللغوي العربي وثرائه، وغناه ما يمكنه من أن يكون منهجا مختلفا في المناهج والنظريات اللغوية التي تمارس العمل اللغوي ممارسة تحليلية استدلالية.

4.النظرية الخليلية الحديثة : (NéoKhalilienne Theory) من منظور الحاج صالح اللغوي:

النظرية الخليلية اللسانية هي نظرية لسانية معاصرة تعتمد الفكر اللغوي العربي القديم، رائدها (عبد الرحمن الحاج صالح) اعتمد الفكر الخليلي في دراستها: بناء على نظريته الحداثية وفق نمط لغوي، إحياء للتراث الخليلي اللغوي، وفق مفاهيم ومبادئ معينة، معتمدا في ذلك على ما أثمرته الدراسات اللسانية الحديثة فهناك من يعتبر النظرية الخليلية في الواقع نظرية ثانية، لأنها تعدّ في الوقت نفسه تنظيرا وبحثا، في أسس النظرية الخليلية الأولى وقراءة متجدّدة لهذا التراث، وإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية، مقارنة بما توصل إليه البحث اللساني الحديث، باستثمار هذه الجهود في الدراسات اللغوية العربية، والتي تحمل رمزا دوليا موجزا (NKT) إذ تعد فرعا من اللسانيات العربية، التي تختص في دراسة اللسان العربي دراسة علمية، وفقا للمفهوم الحديث للدراسة العلمية، في قراءة حداثية للتراث اللغوي الأصيل، تتمثل في الاطلاع ودراسة كتب في القرون الأولى للهجرة، وما كتب بعد هذه الفترة من بحوث من قبل علماء اللغة والبيان من أمثال "عبد القاهر الجرجاني"³، إذ تطمح المدرسة الخليلية الحديثة إلى ربط الصلة بالماضي، وتقترح قراءة تجديدية لتراثنا اللغوي العربي، في ضوء النظريات والمبادئ العلمية الحديثة، باعتبارها امتدادا مباشر للنظرية النحو العربي القديمة (علم العربية) التي جسدها (الخليل بن أحمد

الفرايدي) و(سيبويه) ومن جاء بعدهما من العلماء الأفذاذ مثال (أبي علي الفارسي) و(ابن جني) و(رضي الدين الاسترابادي).⁴

إن عبد الرحمان الحاج صالح تزعم المدرسة الخليلية باعتباره عالما رياضيا لسانيا فقد بذلت جهود لتطوير نظريات لغوية، من قبل كل من (الخليل) و(ابن جني) بناء على ما استجد، من نظريات لسانية حديثة، وما أنتج في مجال الإعلام الآلي، حيث طبق مواصفاتها على الحوسبة اللغوية، التي تفرضها أنماط التعامل مع الأجهزة الحديثة⁵ أسهمت مجموعة من المفاهيم على تأسيس هذه النظرية و على المبادئ العلمية للعلماء العرب أمثال: (الخليل) و(سيبويه) و(عبد القاهر الجرجاني) و(الرضي الاسترابادي)، فكانت ترجمة لجهودهم وأفكارهم القيمة، تنفرد هذه النظرية بمصطلحات علمية، تنبثق على تشكّلها قراءة جديدة للتراث العربي الأصيل، يتم فيها جمع مقولات النحو العربي بالمقولات النظرية الغربية الحديثة، "وصفت "بالحديثه" لأنها تمثل -اجتهادا علميا تقويميا-، صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة، لما تركه "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وتلميذه سيبويه إلى غاية القرن الرابع"⁶ أدى الثراء المعرفي اللغوي لجهود هؤلاء العلماء إلى تنوير فكر الحاج صالح الذي استقاه من قراءته المتمحصة للتراث اللغوي القديم، وما توصلت إليه النظريات اللسانية الغربية الحديثة فكان أسلوبه في التحري وتوحي الدقة العلمية في النهج والوضع، سببا في تطويره للنظرية اللسانية الحديثة، وقد دعا إلى إعادة قراءة التراث من وجهة نظر علمية مثمرة بعيدا عن التعصب للثقافة العربية ولا الانبهار بالثقافة الغربية بما فيها نظرياتها، وقد أسس لهذه النظرية التي يرى فيها مستقبل النحو العربي وهي أكثر نظرياته انتشارا في الأوساط التعليمية حيث أسهمت في ترقية تعليم اللغة العربية، في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، إن ما تضمنته هذه النظرية الخليلية كان مرتكزا قوي التأسيس والنضج الحقيقي للكتابة العربية المعاصرة، وفق مبدأ تنظيري حدائي، فكانت القراءة التراثية وفق منظور لساني حديث أصيل دعما لتحلي الأصاله بالكتابة اللسانية المعاصرة.

ونلخص خصائص النظرية الخليلية الحديثة في عناصرها المهمة كما يلي: اللغة وفق المنظور اللساني الحدائي للحاج عبد الرحمان صالح وضع واستعمال، مفهوم الباب، مفهوم المثال، مفهوم القياس، مفهوم الأصل والفرع بالتمييز بينهما، مفهوم الانفصال والابتداء بتحري الفوارق الجوهرية، مفهوم اللفظة والعامل ودورها في أداء المعنى.

5. الصوتيات العربية :

تجلى اهتمام الباحث اللغوي في دراسة مجال الصوتيات، من خلال إبرازه تميّز الصوتيات العربية، من خلال عمل (الخليل بن أحمد) وما ورد في كتاب "سيبويه"، حيث يقول: "ما اكتشفه الخليل في ميدان حدوث الصوت اللغوي، وهو دقيق جدا يوجد منه جزء كبير، في "باب الإدغام" في "كتاب سيبويه" وبعض الأبواب التي يتطرق فيها إلى الظواهر اللغوية الصوتية كالإمالة والوقف وغير ذلك، وامتاز العرب هاهنا بوجهة نظر تميزت عن باقي الدراسات فلا يوجد مثلها في الصوتيات التي صدرت عن علماء الهند قبلهم، قد انحصر التميز الصوتي فيما يصطلح عليه علماء اللغة العرب بالحركة والسكون و، كذلك مفهوم الفضيحة، أم فضل الحرف فهو شيء لا يوجد ما يشاكله في الصوتيات الحديثة.

استثنى (الحاج صالح) في دراسته للنظرية اللسانية الحديثة جهود دي سوسير ومن تبعه، فقد سمي هذا الأخير المتحرك **explosive** والساكن **implosive** الذي قال عنه بأنه لا يتناغم أو يتسق مع مفهوم المقطع، ولهذا قل من يلجأ إلى ذلك من الصوتيين الغربيين⁷. وأضاف أن وصفهم لجهاز الصوت، أو آلة الصوت وصف دقيق، ولا يزال يبرز تميز الصوتيات العربية، فيجعلها لا تقل علمية وأهمية، عن الصوتيات الغربية بل تفوقها، وأن ما تم اكتشافه فيها في العصر الحديث، هو موجود عند العرب منذ زمن بعيد.

6. دفاع الحاج عبد الرحمان صالح عن أصالة النحو العربي:

كان الحاج صالح بفضل حنكته اللغوية من أحد الذائدين البارزين عن أصالة النحو العربي، فقد بنى نظريته على قناعة منه أن التراث النحوي العربي احتكم إلى تحليلات عقلية استدلالية واتباع مناهج علمية لا تقل عن تلك التي ظهرت في اللسانيات الحديثة. وقد عرف بموقفه الوسطي بين من يقدر التراث النحوي ويجده عنده، وبين من يرفضه بحجة التقادم أو التأثير بالمناهج الغربية، بالنظر إلى أهمية ما يحوزه هذا التراث، من ثراء معرفي، فكري بقاء حاجة ماسة إلى تنقيب وفلي، من قبل العلماء دراسة وتأصيلا وتأليفا، وقد تميّزت هذه الحركة النقدية بثلاثة آراء مختلفة:

التعصب للتراث النحوي التوقف عنده.

الحركة النقدية-ربط المفاهيم التراثية بالحدائية.

تأسيس التراث العربي قائم على النظريات الغربية الحديثة.

تقع نقطة التحول من الرؤية التنظيرية للتراث القديم إلى نظرة استشرافية جديد، في الفكر اللغوي العربي ببعث أثرا مستجد معرفيا بنقل بعض صور النشاط العلمي والفني⁸ حيث أسهم الباحث اللغوي عبد الرحمان الحاج صالح في تبين ثراء التراث العلمي اللغوي الأصيل في دراسته الأصلية منهاجا وتحليلا، وهي لا تقل قيمة عن جهود الباحثين في الدراسات الحديثة، جاءت ثمرة قراءات الباحث اللغوي للتراث كتأسيس للنظرية الخيلية الحديثة التي يرى فيها مستقبل النحو العربي. هذا النحو الذي نشأت حوله "نزاعات جد متطرفة، فهناك من تأثر ببعض مذاهب الغربيين؟ وتعلق بمفاهيمه حتى صار يرفض ما يقوله العلماء الآخرون، وبالأحرى ما أثبتته علمائنا القدامى، وهناك من بقي منغلقا بالثقافة المتحجرة"⁹، وقد شهد النحو العربي تهجما عنيفا من لدن المستشرقين الذين شككوا في أصالته، فكان دور عبد الرحمان الحاج صالح جليا في التصدي لهذا الهجوم المستنكر للنحو العربي بتقديمه لبراهين وحجج عقلية، وتاريخية على أصالته، من حيث بذل جهدا لربط النحو العربي بمنهاج التحليل الحديثة بالحفاظ على مرجعياته التراثية اللغوية بترسيخ الأصول النحوية التي أسسها العلماء العرب الأوائل والتي تتسم بالدقة والصرامة العلمية الفائقة الأمر الذي مكنها من مسيرة مستجدات التحليل اللساني .

7. جهود عبد الرحمان الحاج صالح في تأسيس المصطلح اللغوي :

إنّ طفرة المصطلحات تعترض فهم العلوم الإنسانية والعلمية اللسانية وبناء على إشكالية المصطلح اللغوي بذل أهل الاختصاص جهودا في توحيده ووضع معايير لتنظيمه، بالرغم من أن " الرصيد الفني للسانيات العربية، في مجال الدراسة المصطلحية، يشكو من عقبات حقيقية ، لغياب رصيد اصطلاحي مشترك، يوحد بين اللسانيين ويؤلف بينهم، فرصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات، يبدو ضربا من الأهواء النابعة من الميول والابتكار الشخصي، الذي لا يتقيد بمنهجية دقيقة "¹⁰، بادر عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة تحديد منهجية علمية في اختيار المصطلحات اللغوية ووضعها في موضعها اللغوي الأنسب لها من خلال توحيد استعمالها.

فكانت مؤلفاته رسالة تحمل هذه الغاية اللغوية بالنظر إلى الفائدة الدلالية التي تتضمنها المصطلحات في مضمار العلوم، باعتبارها مفاتيح الولوج إلى المفاهيم اللغوية، حيث عبّر عن ذلك الأستاذ عبد الرحمن- رحمه الله- بقوله: "إن البحث في المصطلح يعني ضمان حضور اللغة في مجالات الإبداع اللساني، ونجاح تقدم العلوم مرهون بمدى نجاحها، في بناء أنساقها الاصطلاحية مع أنساقها المفهومية "¹¹ فحصول الإبداع اللساني مرهون بالاستعمال الصحيح للمصطلحات التراثية، بانتقاء أنسبها دلاليا ومعرفيا نذكر بعضها منها:

- تفضيل الباحث للترويج إلى تسمية "اللسانيات"
- " علم اللسان " على مصطلح علم اللغة ، وفقه اللغة وتبنيه لها في جميع مؤلفاته.
- تبنيه لمصطلح "البُنْيُويّة" المنسوبة إلى "البنيّة " وتفضليها على "بنيوية " وقد جاء في قوله: "structuralisme" بقول "بنوي" كما نقول "قروي" و "تربوي" و "طهوي" وغير ذلك¹²
- تفضيله للاستعمال مصطلح تعليميات، بدلا من توظيف تعليمية مثل اللسانيات، فالياء والتاء المربوطة، لا تدل على الميدان الدراسي ويلاحظ أن الباحث يفضّل استعمال الصيغة الجمعية للتدليل على سعة الاختصاص وشموليته وعدم حصره في الاستعمال الفردي الضيق .
- بادر الباحث اللغوي الفذّ إلى اقتراح توظيف مصطلحات عربية مقابل بمصطلحات أجنبية مأسلا لاستعماله، بالنظر إلى أهمية استثمار هذه المصطلحات في مختلف الاختصاصات عرف الباحث بجهوده الساعية إلى توحيد المصطلح، فكانت الظروف مواتية لوضعه مصطلحات والتعقيب على معانيها معتمدا على معارفه اللغوية العميقة فيها وعلى المناصب التي شغلها من خلال عضويته في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد حمل مشعل المنافسة على توحيد المنهجيات العلمية، للحدّ من فوضى الاستعمال المصطلحاتي. من أهم مآحقه في هذا المجال:

- مؤلفات تطبيقية في مجال اللغة العربية المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الطبعة الأولى سنة 1989م، والطبعة الثانية سنة 2002م.

- تأليفه لمعجم مصطلحات علم اللسان مطبوع (عربي، فرنسي).

- مبادرته في إعداد معجم مصطلحات الإعلاميات (عربي، فرنسي) سنة 1992.

اعتمد الباحث في ترسيخ المصطلحات الدالة على أهمية اللغة منهجية التفكير الاستدلالي الدقيق، والتمحيص اللفظ والأسلوب مستعينا بالترجمة و عنصر الاشتقاق، والتعريب والنحت، فقد كان يضع المصطلحات، ويبيدي آراءه في المصطلحات الموحدة قبل أن تتال شرعية تعميمها، تستخلص هذه المنهجية في أعمال التي نالت مصطلحاته شرعية التوظيف في المؤسسات المصطلحية، من خلال ما تم توظيفه في مصطلحات المعجم الموحد للمصطلح اللساني الحديث¹³.

8. مشروع الذخيرة اللغوية العربية :

يعدّ هذا المشروع أهمّ عمل وأكبر منجز لغوي عربي اعتمد التكنولوجيا سبيلا لإحالة القارئ على مرجعية المصطلح، حيث يمكن القارئ من معرفة درجة تواتره واستعمال في طبعة عصره الذي وردت فيه بطريقة مبسطة غير مكلفة الجهد والوقت دون الرجوع إلى المعاجم، لصعوبة العثور عليها أو ندرتها لورودها في عصور غابرة كعصر الجاهلي. سعى الباحث اللغوي إلى الترويج لمعرفة المشروع الحضاري الضخم، والتعريف بفوائده اللغوية العظيمة التي تمثل هوية الأمة العربية اللغوية، في بداية أولية لإقناع الهيئات والمؤسسات الدولية العلمية بتجسيد المشروع من حيث بدأ عرض فكرة **الذخيرة العربية**، في مؤتمر التعريب الذي انعقد (بعمان في عام 1986م) وقد تم موافقة أعضائه على أسسه و بنيته في حدود ما تسمح به الامكانيات المادية والبشرية.

وقد اقترح الباحث استعمال أشكال للمعجم الآلي (مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة ، معجم موسوعي لغوي) تختص بترتيب معين وفق الآتي :

- 1- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).
- 2- اعتماد الترتيب الأبجدي المجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني) ويعنى به الترتيب الألفبائي.
- 3- ترتيب بحسب استعمال و توارد الكلمة مكررة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص) وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور، وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص.
- 4- ترتيب وفق ذبوع استعمال الكلمة في البلدان العربية في الوقت الراهن وفي كل حقبة .
- 5- ترتيب بحسب العلوم والفنون بالإضافة إلى عنصر آخر للمعجم هو الخرائط الجغرافية، التي تبين ذبوع الكلم العربية، في مختلف الأقاليم .

يعد هذا المشروع من المشاريع العلمية التي لا تزال قيد التطبيق، ولم يتم الشروع في تنفيذه، بالشكل الذي أسس له عوائق كثيرة، ولعل ضخامة هذا المشروع العلمي الحضاري وحاجته إلى وسائل مادية وأخرى معنوية شكلت صعوبة تنفيذه وكذا صعوبة التنسيق بين القائمين على تجسيده لضخامته، فقد لقي استساغة واستحسانا، من القائمين على إنجازه وإتمام فكرة الحاج صالح -رحمة الله عليه- وإنجازه من قبل تلامذته، أو من أعضاء هذا المشروع المتضمن لتسع دول عربية، ونعرض أهمية هذا المشروع المائز في النقاط الآتية¹⁴:

* مشروع الذخيرة هو في أصله فهرسة شاملة لكل ما أنتجه الفكر العربي.

* يعد بنكا لغويا جامعا للألفاظ القديمة والحديثة المستعملة.

* يسهل المشروع وصول الباحثين إلى جذر الكلمة، واستعمالاتها وحسب السياقات المتنوعة.

* يرصد بدقة استعمال العربية في طقس عصر من كل العصور.

* يمكن بشكل منتظم استعمال حقيقي للمصطلح ميدانيا و فنيا معينا.

* يخلص اللغة على أزمة توظيف المصطلح من خلال توحيد توظيفها.

ويطمح مشروع¹⁵ الذخيرة اللغوية إلى أن تكون مصدر لمختلف المعاجم والدراسات منها:

المعجم الآلي للمصطلحات العلمية والتقنية المستعملة بالفعل:

يتضمن هذا المعجم مصطلحات ذات الاستعمال الواحد بمعنى يرد في بلد واحد بل في نص واحد يوضح كل ما يقابل ذكره بمصطلح الإنجليزية والفرنسية، لم يدخل في الاستعمال يشار إليه، وهذا العمل أكبر دليل على شمولية هذه الذخيرة. ويجزأ إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة إلى:

❖ -المعجم التاريخي للغة العربية، هو ما تسعى الذخيرة لتحقيقه لأهميته في تاريخ المفردات.

❖ -معجم الألفاظ الحضارية.

❖ -معجم الأعلام الجغرافية.

9. جهود التعليم لتحسين المنظومة التربوية :

يعد (الحاج صالح) واحدا من رواد اللغة العربية المختصين في مجال اللسانيات التعليمية، إذ احتوت جل كتاباته على أساليب تطوير بالمنظومة التربوية، منطلقا في ذلك من أسس منهجية علمية، تقدم بدائل نوعية للنهوض بالدرس اللغوي العربي، وبمناهج التدريس في التعليم الجامعي وما قبله، ساعيا من ذلك إلى تغيير الوضع التعليمي الراهن الذي يعيق تدريس اللغة العربية وتحصيلها .

إذ يرى الباحث أن غياب المعرفة لدى المعلمين بالمستوى الثاني من مستويات التعبير، وحرصهم الشديد على الصحة والسلامة اللغوية، جعلهم يقعون في مطبات اللحن، لذا يرى ضرورة تفقههم بهذا المستوى، والرجوع إليه وتوظيفه لتعليم وتعلم العربية، يقول في هذا السياق "إن أحادية التعبير الممارسة، في تعليم

العربية بمدارسنا كارثة، لأنها السبب في ركون الفصحى إلى زاوية الأدب والكتابة من جهة، ومن جهة ثانية الابتعاد بالعربية عن الميادين النابضة بالحياة ألا وهي التخاطب اليومي¹⁶ ويدعو إلى ضرورة توظيف هذا المستوى المستخف، مما يحتويه من اختزال في الحركات، وتسهيل للهمزة و خلو من حركات الإعراب، هو مستوى فصيح أقرب إلى لغة تخاطبهم، والأيسر لتوسيع استعمال اللغة العربية الفصحى ..

و الوصول إلى الحلول العلمية -في نظره- لا يتم إلا بالإجابة¹⁷ عن:

1-النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم .

2-النظر في محتوى الطريقة التي تستعمل للتبليغ

3-النظر في تأدية المدرس، لهذه الطرق وكيفية تطبيقه لها.

وللباحث دور في التوعية بضرورة توفير بيئة تعليمية طبيعية، لاكتساب المتعلم ملكة لسانية، بعدها من أهم الغايات المنشودة من تعليم وتعلم العربية، التعلّيمات " لا تنمو ولا تتطور إلا في بيئتها الطبيعية، وهي البيئة التي لا يسمع فيها صوت، أو لغو إلا بتلك اللغة المراد اكتسابها..¹⁸، فالجهل بالبيئة الطبيعية للكثير من المعلمين يجعلهم يوظفون العامية، بدعوى الإيضاح والإفهام ، كما يدعوهم إلى عدم اقتصرهم على إكساب المتعلمين ملكة السلامة للغة وتجاوزها لاكتسابهم ملكة التبليغ لتوظيفها في جميع الأحوال الخطابية. وينوه الأستاذ بضرورة اعتماد التكنولوجيا الحديثة، في ميدان التعليم.

10.المعاجم :

للباحث رؤية تتمثل في أن المعاجم الحديثة تفتقر إلى منهجية حديثة حيث حافظوا على الترتيب الألفبائي لأصول المفردات، وقد اتصفت هذه المعاجم بما أدخل فيها من تجديد، من جوانب مختلفة وذلك مثل إدخال اللفظ المولّد أو الأعجمي الشائع مما يدل على المسميات الحديثة والمصطلحات العلمية .¹⁹ لم يخف الباحث إعجابه بطريقة بناء المعاجم العربية، ولذلك اقترح بأن يحافظ المعجميون على خاصية الترتيب مع إدخال الترتيب الألفبائي، لبعض المفردات بحسب ظاهرها، ودون مراعاة أصولها، فتلك التي يصعب العثور عليها، بسبب الحذف أو الإبدال أو الإغلال، أو لكونها دخيلة لم تأت على صيغة عربية، فتأتي في موضعها، وأضاف الباحث اللغوي اقتراح الاستعمال الحقيقي للغة لأن ذلك

أصل من الأصول في البحوث اللغوية، هذه البحوث تأتي لإعلاء شأن اللغة العربية ومن جهة أخرى اقتراحه اعتماد قواعد المعطيات النصية كمرجع في تأليف المعاجم²⁰.

خاتمة :

نستخلص مما سبق تناوله في هذا البحث أن للصوتيات العربية أهمية علمية قد تفوق الصوتيات الغربية، وأن ما تم التوصل إليه في العصر الحديث تجلت معالمه واضحة لدى العرب منذ القدم، لذلك من الضرورة الملحة تأسيس نظرية لسانية معاصرة، تمنح قراءة تجديدية حديثة للتراث اللغوي العربي، في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، تتمين المساهمة (الحاج صالح) في الكشف عن إشكالات الاصطلاح، ومبادرته للتعرف على الكلمة وتداولها في حقبة زمنية معينة فهذه الإشكالات تعترض المهتمين بتدريس اللغة العربية تعليماً وتعلماً، وقد بادر الباحث إلى وضع معايير علمية، يستند إليها تقوم على أساسها المناهج المدرسية، لتحسين وتطوير المنظومة التربوية باعتماد البحوث اللسانية.

والدعوة إلى ضرورة تفعيل مشروع الذخيرة اللغوية إذ يعد من أهم المشاريع اللسانية الحضارية إذا تم تنفيذه ميدانيا والذي سيزيل الكثير من عقبات البحث العلمي، ويوجه القارئ العربي نحو ما يحتاجه باقتصاد فيجهد والوقت، كما قدم الباحث مقترحات قيمة في بناء المعاجم و من خلال تقييمه للمعاجم العربية الحديثة وما تعترضها من نقائص، وتقديمه لبعض الحلول للقضاء على تلك الصعوبات والعثرات التعليمية.

فما توصل إليه (الحاج صالح) في خضم الزخم المعرفي للدراسات اللسانية الحديثة يمثل كتابة لسانية عربية فارقة بين الدراسات على ممر الأزمنة.

الهوامش والإحالات:

¹- عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة والتجديد، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2008، ص240.

- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، الجزائر 2004، ص145-150

³- عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. ع4، 2007م، ص: 5.

- ⁴ - خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2000م ، ص: 135
- ⁵ -صالح بلعيد ، اللغة العربية العلمية، دار هومة ، الجزائر، 2003م، ص: 106.
- ⁶ - عبد الرحمن الحاج صالح ، النظرية الخليلية الحديثة ، ص:5.
- ⁷ - عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ج 2 ، ص: 61
- ⁸ - تمام حسان، الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب ط1، الرياض ،2001، ص11.
- ⁹ - عبد الرحمن الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي في مجلة الثقافة ، ع26ابريل سمي 1975م ، ص16.
- ¹⁰ -ينظر: حافظ إسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009، ص8.
- ¹¹ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج2، ص:23.
- ¹² - عبد الرحمن الحاج صالح، الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، الجزائر، ع12، 1 ديسمبر 2010م، ص:20/19.
- ¹³ -ينظر: صالح بلعيد ،مقاربات منهجية، دار هومة، ط2004، ص: 154, 155.
- ¹⁴ - المرجع نفسه ، ص: 156-157
- الحاج صالح ،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج1، ص: 161¹⁵
- ¹⁶ -ينظر:الحاج صالح ، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، الأبيار، الجزائر ، ص32.
- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 32.¹⁷
- ¹⁸ -عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، ص:193.
- ¹⁹ -- عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 2 ، ص:116 .
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص: 117-118.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ج 2 .
2. تمام حسان، الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، الرياض، ط1، 2001.
3. الحاج صالح ، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، الأبيار، الجزائر.
4. حافظ إسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009.
5. خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، الجزائ، 2000 م .
6. صالح بلعيد ، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، 2003م.
7. صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، ط2004، الجزائر .
8. عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ع4، 2007م .
9. عبد الرحمن الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي في مجلة الثقافة ، ع26 إبريل - ماي 1975 م .
10. عبد الرحمن الحاج صالح، الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية الجزائر، ع12، 1 ديسمبر 2010م، ص20/19.
11. عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة والتجديد، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2008.